

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المنهاج في إحياء التمدن الإسلامي

المدينة الإسلامية بين الحفظ والاحياء

د. وليد عبد العزيز المنين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فقد تعددت سبل إحياء التمدن الاسلامي وتباينت تصورات الباحثين
من المتأخرين حولها، فهناك - على سبيل المثال - من يدعو إلى «إحياء الشكل»
وآخر يدعو إلى «إحياء الشكل وشيء من الوظائف» وثالث يدعو إلى «الاحياء
الشامل للدين الاسلامي في جميع مرافق الحياة» لأننا بهذا الاحياء سنبنى
النموذج المطلوب للتمدن الذي سيعكس واقعاً مكانياً ومادياً بأثر تعاليم
الدين، وهذا أحمد الأحوال وأقربها للهدى النبوي.

* قدم هذا البحث إلى مؤتمر (الحفاظ على التراث الحضاري المعماري الاسلامي في المدن) الذي
انعقد في اسطنبول بتركيا تحت إشراف المعهد العربي لانماء المدن في الفترة من (٢-٦ شعبان
١٤٠٥) (٢٢-٢٦ ابريل ١٩٨٥).
ويشكر الباحث الشيخ عبدالله العلي النعيم رئيس مجلس أمناء المعهد وأمين عام مدينة الرياض
الذي أذن بشهر البحث.

وخلاصة القول لابد وأن نعلم أن الدين الاسلامي لا ينظر إلى أشكال الشوارع والزخارف بذاتها بل هو نظام حياة شامل يرمي إلى إصلاح حياة الانسان في الدنيا والآخرة وأنه إذا ما زادت الزخارف وتطاوت المباني كان ذلك دليلاً على انحراف التمدن عن المنهج الصحيح .

إن هذا الدين لا يشجع البداوة والعزلة والرهينة بل يشجع على التمدن والاستقرار والجماعة وينبذ الفرقة ودليلنا في ذلك سيرة النبي ﷺ وهديه في الاستقرار عندما نزل المدينة المنورة، ويمكن أيضاً مقارنة تكاليف الدين في حالة الحضر وحالة السفر.

وفي الوقت نفسه يحذر هذا الدين من التماهي في الانغماس في المدنية على غير هدى الدين لأن ذلك ايزان بزوال المدينة واندثارها مهما ارتفعت مبانيها قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِثَّرَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ .

إن أساسيات التمدن والعمارة الاسلامية كالمسجد والمسكن والسوق والأنشطة الاقتصادية متفق عليها وهي موجودة ولا غنى عنها مع تبدل الزمان والمكان وأن التغير انما يحدث في الاساليب الجديدة التي أباحها الله تعالى ليسهل على الانسان الانتفاع بثروات الأرض التي سخرها الله تعالى له .

وختاماً: يجب الحذر من المقولة التي تحاول أن تعزو التمدن الاسلامي إلى عصور الاتصال الثقافي مع الحضارات الرومية والفارسية وغيرها لأن من يقول ذلك يصبر على أن التمدن الاسلامي لم يأت «مع» الشريعة انما جاء «عنها» كما بين ذلك الكتاني في (تراثيه) رحمه الله .

أولاً: العمارة الإسلامية بين الحفظ والاحياء،

فصل

المنهاج

يتفق المهتمون بدراسة العمارة الإسلامية من المتأخرين على أنها تعاني من محنة انعكست آثارها على خطة المدينة وشكلها العام ولكنهم اختلفوا في تحديد المنهاج الأمثل الكفيل بتجاوز هذه المحنة. ولقد تعددت المناهج والسبل والمسميات المراد الأخذ بها لتجاوز محنة المدينة الإسلامية وتباينت فمن راغب في «الاحياء» مطلقا لكل ما يمت بالعمارة الإسلامية بصلة إلى راغب في «حفظ» ما تبقى من العمارة الإسلامية للاستفادة منه كتراث محسوس قد يعطى دفعة لتشكيل أي امتداد مدني متوقع وبين الدعوة «للاحياء» والدعوة «للحفظ» ظهرت دعوات أخرى منها ما يدعو «لدمج» بين العمارة الإسلامية والعمارة الحديثة بصورة تساعد على صقل واقع معماري جديد يستفيد من الحضارتين، بينما تدعو أخرى إلى ضرورة «التثبت» من المقصد الحقيقي «للاحياء» و «الحفظ» بمعنى هل هذه الدعوات تنصب فقط على احياء وحفظ طرز معمارية فقط أم هي أشمل من ذلك.

ومن جانب آخر فقد تشابهت كثير من المقاصد المنصبة لمصلحة العمارة الإسلامية وأن اختلفت في المسميات كقول البعض أن الدعوات الرامية إلى معالجة مشكلة المدينة العربية الإسلامية لاتتعدى ثلاث هي:

(١) السلفية

(٢) المعاصرة

(٣) المتحفظة^(١)

ومن خلال هذه الدعوات يرى أصحابها ضرورة البحث عن «النموذج» الذي سيحتذى به من خلال تحديد «الزمان والمكان» الذي ظهرت فيه المدينة العربية الاسلامية متكاملة مع ضرورة الاشارة إلى وجود «متغيرات» و «ثوابت» في المدينة الاسلامية منعا للتكرار وحرصا على الملائمة لأن الأمر يتسع للاجتهاد والابداع.

وهناك مسميات أخرى تنصب في نفس الاتجاه منها قول البعض أن للمدينة العربية الاسلامية «مكونات مادية» كما أن لها «مقومات معنوية» وأن التصور الأمثل لحل مشكلة المدينة العربية الاسلامية هو ذلك الاسلوب الذي يوائم بينهما^(٢).

لقد حاول أصحاب هذه الدعوات أن يحددوا التراث الحضاري الاسلامي أو بمعنى آخر «الخصائص الأساسية» للمدينة الاسلامية التي لا بد وأن يُحافظ عليها بينما يترك الأمر للسعة والاجتهاد وفيما يتلاءم مع الواقع لأجزائها المتجددة.

وبالمثل نحن نرى ما يراه البعض من ضرورة الحفاظ على الأصالة أو

(١) الششتاوي، حسن، (المدينة العربية بين الدعوات الثلاث: السلفية والمعاصرة والمتحفظة) من أبحاث ندوة المدينة العربية: خصائصها وتراثها الحضاري الاسلامي المنعقدة في المدينة المنورة من ٢٤ إلى ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠١هـ (٢٨ فبراير - ٥ مارس ١٩٨١م)، انظر مجلد الندوة ص ٢٦.

(٢) سراج الدين، اسماعيل، (المدينة العربية وتراثها الحضاري الاسلامي بين المكونات المادية والمقومات المعنوية)، من أبحاث ندوة المدينة العربية المصدر السابق (١٤٠١-١٩٨١، ص ٢١ من المجلد).

الوظائف الأساسية التي تواجدت في كل مدينة اسلامية لكننا نختلف في بعض المسائل وان كنا نلتقي بالمقاصد.

ذكرنا في صدر رسالتنا هذه أن العمارة الاسلامية محصورة بين دعوتين هما «الاحياء» أو «الحفظ» وهذا يقتضي منا تبيان الفرق بينهما. ولما كنا نرى أن «الأحياء» هو الأسلوب الأمثل لحل مشكلة «التمدن الاسلامي» ولا نقول «العمارة الاسلامية» فقط، كان لزاما علينا أن نبين مقصدنا منه وعندها سيتضح منهجنا الذي نراه كفيلا في حل مشكلة التمدن الاسلامي. لهذا فإن تساؤلنا هو:

أولا: ما الفرق بين الحفظ والاحياء؟

ثانيا: لماذا الاحياء وما هي درجاته؟

أما بشأن «أولا» في الفرق بين الحفظ والاحياء فهذا يقتضي توضيح المعنى لغة جاء في اللسان:

حفظت الشيء حفظا أي حرصته، وحفظته أيضا بمعنى استظهرته، والمحافظة المراقبة. . والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾^(١).

أما معنى الاحياء فقد جاء فيه أيضا:

«في الحديث: من أحيأ مواتا فهو أحق به، الموات: الأرض التي لم يجر عليها ملك أحد. وإحيأؤها مباشرتها بتأثير شيء فيها من إحاطة أو زرع أو عمارة ونحو ذلك تشبيها بإحياء الميت، ومنه حديث عمر، وقيل سلمان، أحيوا ما بين

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، ص ٦٧٣ مادة حفظ، طبعة دار لسان العرب: بيروت.

العشاءين أي اشغلوه بالصلاة والعبادة والذكر. . (١).

من خلال هذه المعاني التي يحملها الحفظ والاحياء يمكن استنتاج ما يأتي:

أولا : أن الحفظ يعني حراسة الشيء، فقد نحافظ على العمارة الاسلامية بحفظ ما تبقى منها من آثار ليستفيع به كثرات حضاري دون النظر إلى اعتبار هذا التراث في الخطط المعمارية القادمة.

ثانيا : ومن معاني الحفظ أيضا الاحياء لقوله «وحفظته بمعنى استظهرته» فقد نحافظ على العمارة الاسلامية لابقصد ابقاءها كثرات فقط بل لالظهار هذا التراث في الخطط الحضرية والمعمارية المتوقعة مستقبلا.

ثالثا : أما الاحياء فمن معانيه إحياء انتفاع معين لم يكن موجودا بالأصل، كإحياء الأرض الميتة التي لم يسبق تعميرها وجعلها صالحة للسكنى والزرع ونحوه، قال رسول الله ﷺ : «من أحيا أرضا مواتا فهي له» رواه أحمد والنسائي وابن حبان. وعند البخاري بلفظ:

«من عمّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها». (٢)

ومن ذلك نأخذ إمكانية إحياء العمارة الاسلامية من جديد في الأراضي التي يحتمل أن تكون معدة للتوسع المدني أو عن طريق التجديد الحضري الاسلامي.

يظهر من معاني الحفظ والاحياء أن الحفظ أسلوب «دفاعي» في أحد معانيه بينما الاحياء أسلوب «هجومى» وأن أحسن وسيلة لحفظ العمارة الاسلامية هو إحيائها من جديد، وبالرغم إن من معاني الحفظ والاحياء أيضا

(١) نفس المصدر السابق، ص ٧٧٤ مادة حيا.

(٢) سابق، السيد، فقه السنة، دار الكتاب العربي: بروت ص ١٧١.

إلا أن قولنا إحياء المدينة الاسلامية، وهو أحد معاني الاحياء كما مر بنا أكبر من مجرد قولنا «حفظ العمارة الاسلامية» ذلك أن «المدينة» نظام حياة شامل، أما «العمارة» فهي أحد انعكاسات المدينة وبالتالي فإن الاحياء عندنا أشمل وأقوى في معانيه وأهدافه.

أما بشأن «ثانيا» في قولنا لماذا الاحياء وما هي درجاته؟ فقد بينا في الفقرة السابقة أن الاحياء أسلوب أشمل من الحفظ أما درجاته فهي ثلاث.

أولها: إحياء الشكل.

ثانيها: إحياء الشكل والوظيفة.

ثالثها: الاحياء الشامل للمدينة الاسلامية وانعكاسها على الشكل والوظيفة.

أما «إحياء الشكل» فلا يتعدى إحياء الطرز والزخرف الذي غلف المدينة الاسلامية في القرون المتأخرة. ومما يؤسف له أن طائفة كبيرة من الدعاة إلى إحياء المدينة الاسلامية قد ركزت على إحياء الشكل عن طريق إحياء الزخرف الذي غطى المدينة العربية بغلاف صناعي Artificial Veneer لا علاقة له مع الوظيفة الحقيقية التي من أجلها دعا الاسلام إلى إعمار الأرض فضلا عن تحفظ الدين على إحياء الزخرف والتطاول في البنيان كما سنبينه لاحقا.

إما إحياء «الشكل والوظيفة» فهو أحسن حالا من سابقه لأنه قضى على نسبة كبيرة من التناقض بين الشكل والواقع بمعنى آخر أن هذا الاسلوب يحقق كثير من مطالب المستقرين في المدينة الاسلامية كالتقارب الأسري والجوار والانسجام العرقي والديني في التوزيع المكاني أو كما سماه ابن أبي الربيع بـ «منع خلط الأضداد». لكن يظل هذا الاسلوب ناقصا أيضا لأنه أحصى الواقع المادي ولم يسع إلى إحياء تعاليم الدين الاسلامي التي تحكم المدينة وعلاقات

ساكنيها بمعنى آخر أنه أسلوب يحقق شيء من مطالب المدينة الاسلامية إلا أنه أهمل إحياء التمدن الاسلامي في النفوس حتى تنعكس مؤثراتها على المكان وهو ما نرمي إليه في دعوتنا إلى الاحياء الشامل للدين في النفوس وعلى كافة المستويات .

أما بشأن ثالثا وهو الإحياء الشامل للمدينة الاسلامية عن طريق إحياء تعاليم الدين وربطها بحياة المدينة على كافة المستويات بين الأفراد رؤساء ومرؤوسين فهو أسماها وأشملها ذلك أنه يرى أن تعاليم الدين من «عبادات» «ومعاملات» «وسياسة شرعية» هي التي ستعكس صورة العمارة الاسلامية وخطة المدينة، بمعنى آخر أن العمارة الاسلامية وأشكالها ما هي إلا نتيجة لنمط التعاليم التي سادت في نفوس ساكني المدن وبقدر قوة هذه التعاليم في النفوس والأخذ بها بقدر ما تكون المدينة انعكاسا صادقا للاسلام وتعاليمه .
وهنا لابد لنا من أن نسأل على سبيل المثال :

أولا : كيف يؤثر المعتقد وتعاليمه على صقل خطة المدينة وشكلها العام ووظائفها الداخلية؟

ثانيا : هل هناك ما يمكن تسميته بالمدينة الاسلامية أو العمارة الاسلامية؟

أما السؤال الأول: فجوابه أن للمعتقد وتعاليمه أثر كبير على خطة المدينة وصورتها العامة وأن الفهم الأمثل للتمدن لابد وأن ينبع من الفهم الواضح للمعتقد السائد في المدن والحضارات وهذا مبحثنا في الفصل اللاحق .

وتجدر الإشارة إلى أن المعتقدات تتباين في تأثيرها على المكان وعلى الناس بالمقارنة مثلا مع أثر تعاليم الدين الاسلامي التي تنعكس آثارها على كل ذرة من ذرات المدينة لأنها من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه .

أما السؤال الثاني : فيمكن صياغته بصورة أخرى أيضا وهو هل هناك «نموذج» أو مثال صادق للمدينة الإسلامية يمكن تصنيف المدن من خلاله، ما إذا كانت إسلامية أو غير إسلامية . والجواب على ذلك نقول لابد من العودة مرة أخرى إلى فهم تعاليم الدين التي جاء بها الاسلام بشأن التمدن وضوابطه العامة حتى نتمكن من معرفة الصورة الصحيحة للمدينة الإسلامية ذلك أن أماننا كم هائل من المدن الإسلامية من لدن العهد النبوي والخلافة الراشدة إلى المدن الأموية والعباسية وغيرها مما يجعل المهمة صعبة بل ومستحيلة لأن البحث لابد وأن يبدأ من السابق لا من اللاحق، وهذا هو حديثنا في فصل ضوابط التمدن الاسلامي .

ثانياً: أثر المعتقد على خطة البلد

فصل

الوثنية والفلسفات الاقتصادية أو المادية

مما لا شك فيه أن للمعتقد الذي تؤمن به المجموعة المستقرة أثر كبير في خطة المدينة حيث يرى ذلك واضحاً من خلال النظر إلى المدينة اليونانية والمدينة الرومانية الوثنية والمدينة الفرعونية. ومن الدراسات الحديثة يتحدث ماكونيل^(١) McConnell عن المدينة الرأسالية والمدينة الماركسية كأيدلوجيات تنعكس آثارها على المكان.

ففي حالة المدن القديمة يشير واجستاف^(٢) Wagstaff إلى أنها تعكس المعتقد القائم الذي يجعل خطة المدينة تدور حول المعبد أو قصر الحاكم كما هو مبين في الشكل رقم (١).

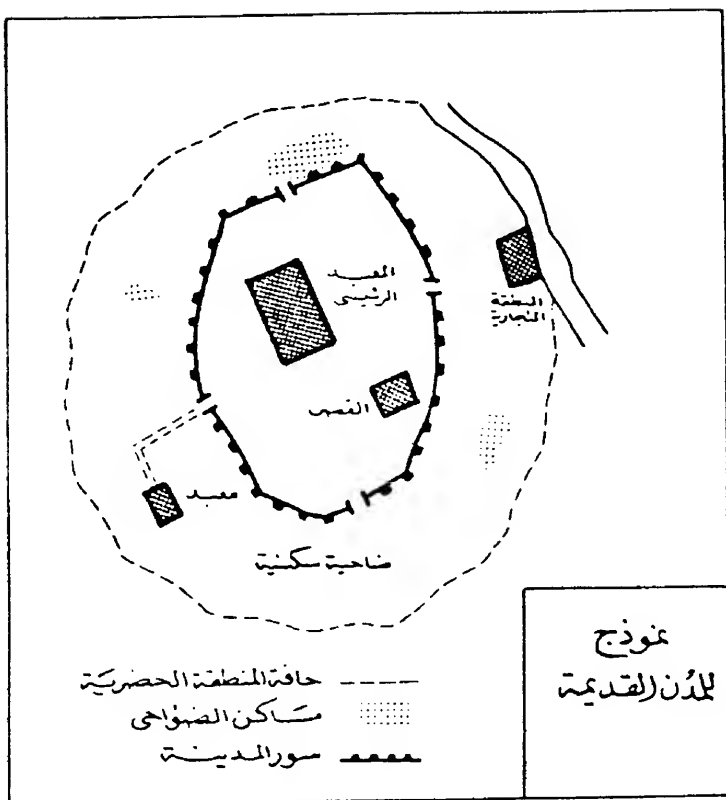
والشيء نفسه يقال عن المدينة الفرعونية التي ألهمت الحاكم حيث الشيء نفسه في خطتها. فالمعبد كان بمثابة مركز الحياة والعمران في المدينة المصرية ومن حوله كانت تنمو المدينة وتمتد مساحتها وتدور صور الحياة فيها. كما أن وجود آلهة محلية للمقاطعات كان عاملاً هاماً في نشأة المدن الاقليمية^(٣).

(١) McConnell, S., 1981; Theoris, For Planning, Hienemann: London, p.37.

(٢)

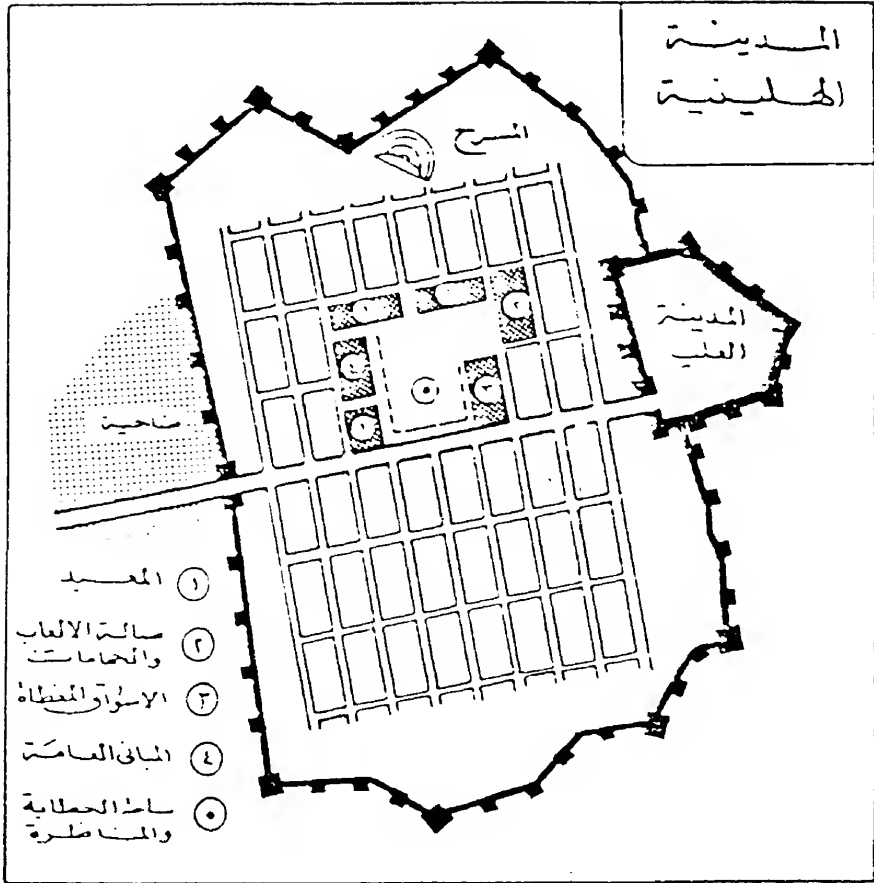
Wagstaff, J.M. "The Origin and Evolution of Towns: 4000 BC to AD 1900" in G.H.Blake & R.I.Lawless (eds.), 1980; The changing Middle Eastern City; Croom Helm: London, pp.11-33; See.p.12-14.

(٣) احمد اسماعيل، ١٩٨٢، دراسات في جغرافية المدن، سعيد رأفت: القاهرة، ص ٣٩.



(شكل ١)
نموذج للمدن القديمة

المصدر السابق : Wagstaff, J., p.14



(شكل ٢)
المدينة الهلينية

المصدر السابق : Wagstaff, J., p.18

وفي فترة طغيان العقل وظهور المنطق والفلسفة كما في الحضارة اليونانية فكان هذا المؤثر هو الآخر سببا رئيسيا في تشكيل المدينة اليونانية في العهد الهيلينستي Helenistic Town إذ تشكلت المدينة على ضوء المعتقدات السائدة فيما يتعلق بسمو الجنس اليوناني على باقي الأجناس وأنه خلق لكي يسود أما باقي الأجناس فهي مسخرة لخدمة هذا الجنس الذي ظهر بالاختيار الطبيعي أو بالتحتمية الطبيعية. وفي المعتقدات التي ساعدت على تشكيل خطة المدينة اليونانية القول بأن ليس للشحر حدود وإنما الخير محدود بذلك اختير للخير مدينة عليا Citadal ترتبط بباقي مكونات المدينة اليونانية كما بينها الشكل رقم (٢).

يتضح من خلال النظر إلى الشكل رقم (٢) أن خطة المدينة انعكاس للواقع العقائدي السائد آنذاك. فالمدينة اليونانية كانت تتكون من عناصر خمسة هي:

- (١) المعبد
- (٢) صالة الألعاب والحمامات
- (٣) الأسواق المعلقة Stoa
- (٤) الأجورا وهي ساحة المناظرة والخطابة Agora
- (٥) المباني العامة Curia

أما نواة المدينة اليونانية فكانت تتكون من ثلاثة أقسام:

- (١) الاكروبولس أي المدينة الأصلية
- (٢) المدينة العليا Citadal
- (٣) الميناء

أما المدينة الرومانية فكانت مكوناتها من الآتي:

- (١) الميدان الرئيسي Forum

(٢) المسرح الدائري Amphitheatre

ويتركز الميدان الرئيسي المعبد والأسواق ومراكز الحكم والادارة^(١).

ويتضح من خلال وقائع التاريخ اليوناني كيف كانت المدينة اليونانية مجالا «لديمقراطية اليونانية» التي برز فيها العقل والفلسفة حيث تبرز ساحة «الإجورا» وهي ساحة الخطابة والمناظرة بين الفلاسفة والحكماء كأفلاطون وأرسطو وسقراط، والقول نفسه عن المدينة الوثنية التي يتوسطها المعبد الوثني. وكلا المدينتين كان يسودهما الطبقة العنيفة بين أبناء البلد. ومن مؤثرات المعتقدات السائدة عند اليونانيين والرومانيين هي الايمان بالمحسوس والغلو في تقدير الحياة والركون إليها والشك في الدين والاستخفاف بنظامه والاعتزاز بالقومية والحب المفرط للوطن وترا به فوق حب الله فكان نتيجة ذلك أن فصلوا السياسة عن الدين وطوروا العقل من خلال المناظرات والأقيسة العقلية فانتجوا الديمقراطية اليونانية التي هي سياسة عقلية تحمل الكافة على مقتضى النظر العقلي لجلب المصالح الدنيوية ودفع المضار دون النظر للآخرة وجعلوا أنفسهم فوق البشر وأنهم قوم خلقوا ليسودوا وذلك بالاختيار الطبيعي كما قال أرسطو^(٢).

والشيء نفسه يقال في أيامنا هذه عن المدينة الرأسمالية Capitalist City والمدينة الماركسية Marxist City بالنظر إلى عقيدة كل منهما.

فالمذهب الرأسمالي الذي هو عقيدة اقتصادية تنعكس انعكاسا واضحا على المكان وعلى الناس من خلال النظر إلى مبادئها وهي:

١- تملك عناصر الانتاج.

(١) اسماعيل، د. أحمد، ١٩٨٢ دراسات في جغرافية المدن، ص ٥٢-٥٩.

(٢) انظر مثلا، العوايشة، د. أحمد ١٩٨٢، «موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ» المكتبة الاسلامية: عمان: ص ٢٧-٢٨، ٣٢، وانظر رسالتنا «التفسير الشرعي للتمدن» ص ١٦، رقم ٦٢، قسم الجغرافيا جامعة الكويت فبراير ١٩٨٤.

٢- الملكية الفردية ومضاعفة الربح .

٣- وجود سوق حرة تحقق التوسع في التراكم المالي .

يحيط بهذه الخصائص حرية أو بمعنى آخر عدم وجود تدخل حكومي . ويمكن على ضوء هذه المبادئ تصور خطة المدينة الرأسمالية وشكلها العام . يشير ماكونيل McConnell أن الرأسماليين يعمدون إلى استثمار فائض القيمة Surplus value في مشاريع تجارية لأجل تحقيق مزيد من «فائض القيمة»^(١) . ويشير هارفي Harvey إلى هذا المعنى ولكن بصورة أخرى أن في المذهب الرأسمالي يظهر مفهوم التراكم accumulation لأجل الحصول على تراكم رأس المال أيضا وينظر خلاله إلى العامل على أنه سلعة لا بد أن توفر للرأسمالي فائض قيمة في مقابل راتب معاشي .

نخلص من مفهوم تراكم رأس المال والمشاريع التجارية والصناعية لأجل زيادة الربح أن المدينة الرأسمالية إن صح التعبير تظهر بصورة غير منتظمة تتلاصق فيها ناطحات السحاب بالمباني الأفقية بحكم التباين الشديد بين الغنى والفقر . ويشير ديروسكوت Dear and Scott أن نظام المدن التي تبني المذهب الرأسمالي تفرز نظاما تدرجيا للمراكز التجارية Hierarchy of centres ذات أحجام مختلفة لتحقيق مبادئ هذا النظام^(٢) .

والشيء نفسه يقال عند النظر للمدينة التي تأخذ بالمذهب الاشتراكي المأخوذ من الماركسية إذ تدور مبادئ هذا المذهب الإلحادي المادي على الآتي :

١- منع الملكية الفردية .

٢- منع تملك عناصر الانتاج .

1- McConnell, S. 1981, p.37.

2- Harvey, D., "The Urban Process Under Capitalism: A framework for Analysis" in M. Dear & A.Scott (eds.) 1981. Urbanization and Urban Planning in Capitalist society, Methuen: N.Y.pp.91-121; see p.92.

٣- التعويض عن ذلك بالملكية الجماعية الاشتراكية .

ويحيط بهذه المبادئ التدخل الحكومي المباشر الذي يشرف على كل صغيرة وكبيرة من خلال الهيئة العليا للتخطيط . من خلال مبادئ هذا المذهب الذي يحاول أن يمنع تراكم الأرباح ويعمل على تحويل المجتمع إلى طبقة عمالية منتجة تحت السلطة الجماعية سيكون خطة المدينة الاشتراكية الانسجام في اشكال المباني تقريبا لارتباطها بالعمال والمزارعين الذين لا يملكون شيئا . ولما كان النظرة للفائض الربحي غير معتبرة هنا فإن المساكن والمدينة تقوم على البعد عن الابهة الحضرية إذا ما قورنت بالمدينة الرأسمالية التي ينظر إليها على أنها صورة من صور الاقطاع من الوجه الاشتراكي .

ويستطيع الباحث الميداني أن يتأكد من هذه المفاهيم فيما لو زار مثلا موسكو في مقابل نيويورك كانعكاسات مكانية لهذين المذهبين .

من خلال هذه العرض كان المقصد أن نصل إلى أن للمعتقد السائد أثر بالغ بل ورئيسي في تشكيل خطة المدينة وبالتالي فإن احياء المعتقد معناه احياء لخطة المدينة نفسها . ومعلوم أن الدول القديمة كال يونانية والرومانية والتي سادتها المسيحية الآن قد تغيرت صورتها بحكم طغيان العلمانية والتوجه العقلاني الذي عزل المعبد والكنيسة عن مركز المدينة اضافة إلى دخول الوسائل الحديثة في تخطيط المدن وتطور وسائل النقل وترابط المدن مع سيطرة المذاهب الرأسمالية والاشتراكية عليها .

والشيء نفسه يقال حتى عن كثير من المدن في الدول الاسلامية التي عزلت تحكيم الشريعة ومبادئها عن الحياة مما أثر في تشكيل صورة مغايرة لماضيها الحضري السابق .

(١) Dear, M.& Scott, A. "Towards a framework for analysis" in Ibid., pp.9-16; see p.9.

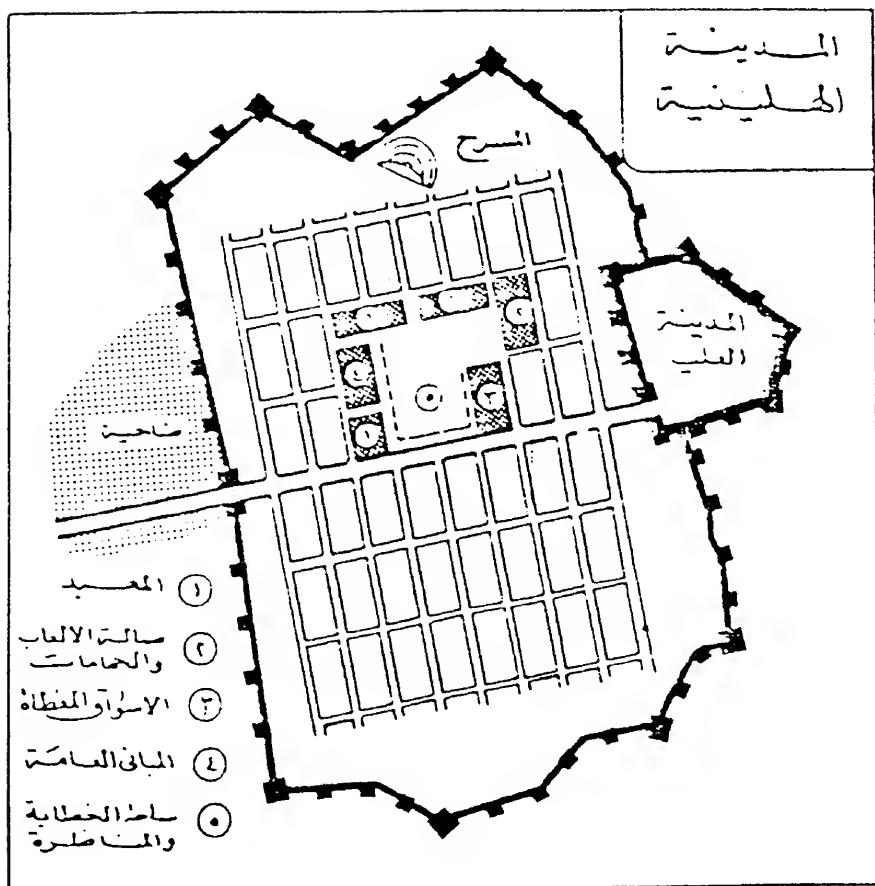
ثالثاً: ضوابط العمارة والتمدن الإسلامي

فصل

النموذج

بيننا آنفا ان إحياء العمارة والتمدن الاسلامي يستدعي احياء تعاليم وأوامر الدين ونواهيه لأنها كفيلة في تحديد شكل المدينة وخططها وتطورها المتوقع وكل ما يتصل بحياة الناس . وأشرنا أيضا أن هذه المسألة تستدعي تحديد نموذج معين للمدينة الاسلامية حتى تكون الانطلاقة والمقارنة منه مع أي عمارة طوال تاريخ التمدن الاسلامي . ويبقى السؤال الذي أثار الجدل «أين هذا النموذج؟» وهل التمدن الاسلامي عبارة عن واجهات معمارية وطرز وزخرف أم أنه اشمل من ذلك؟ هذه المجموعة من الاستفسارات إنما جاءت بسبب سوء فهم التمدن الاسلامي وحصره في زاوية مادية كالخطة والشكل العام والزخارف وبالتالي كان ذلك سببا في تباين وجهات النظر لإختيار النموذج الأمثل . ولكي نتدرج في الاجابة نقول «أن هذا الدين إنما جاء لتنظيم حياة البشر على الأرض فمن أخذ به وبتعاليمه فقد أحيا التمدن المطلوب الذي مراده أن يكون الانسان خليفة وعبدا لله في الأرض ومن حاد عن تعاليمه وزواجه فقد حاد عن الجادة الصواب فكان ذلك سببا في تشويه التمدن المطلوب بمعنى آخر أنه تشويه للنموذج المطلوب .»

ولعلنا نتساءل أين هذا النموذج وهل جاء من طبق تعاليم الدين بأكملها وعلى أحسن وجه حتى نتبع سيرته إذا ما أردنا الاحياء الصحيح . نقول «أن من رام معرفة التمدن الصحيح الذي قام بأثر التطبيق الصحيح



(شكل ٢)
المدينة الهلينة

المصدر السابق: Wagstaff, J., p.18

لتعاليم الدين فليطلبه في تتبع سيرة خير من طبق تعاليم الدين وأوامره ونواهيه وخير معلم للأنام محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان . »

إن من تتبع سيرته صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة يستخلص منها نظره الاسلام للتمدن والاستقرار والكيفية التي يتم من خلالها تحديد وتوزيع وظائف المكان .

إن هذه المقولة فيها تصويب لتصورات كثير ممن تعاطوا الكتابة عن التمدن الاسلامي إذ أن كثيرا منهم يعزو التمدن الاسلامي إلى العهود التي تلت العهد النبوي ، والخلافة الراشدة كالعهد الأموي والعباسي وما تلاهما وهم في ذلك يرون أن التمدن الحقيقي إنما جاء بسبب الانفتاح على الحضارات المختلفة التي قدمت للتمدن الاسلامي كل ما يحتاجه انهم في ذلك يقولون أن التمدن الاسلامي قام «عن» الشريعة ولم يقم «معها» .

إن من يقول ذلك قد وهم وأخطأ ولم يتدبر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمهدين من بعده والتي وضعت أساسيات التمدن وخطوطه العامة ليسلكها اللاحقون ويسيروا على نهجها وإن من جاد عنها فقد أساء الفهم وحمل العلم ما لا يطيق . كما يجب أن يفهم من قولنا هذا أن الدين الاسلامي أولا وقبل كل شيء اعتقاد وتصديق وعمل وأنه بقدر ما تكون هذه التعاليم مطبقة على كافة المستويات بقدر ما تكون المدينة انعكاسا صادقا للتمدن الاسلامي .

وللعلامة الكتاني في «الترتيب» اشارة لطيفة في ذلك فتأملها، قال رحمه

الله :

«إن الكتاب الذين تصدروا أخيراً للبحث عن
المدينة الاسلامية العربية ودونوا المدونات العدة
من المسلمين والمسيحيين غاية ما ينسبون من
التمدن للاسلام يذكرون ما وجد على عهد

الدولة العباسية والأموية مثلاً مع ما أوجده بعد ذلك ممالك العجم والديلم والترك والفرس والبربر وغيرهم من ممالك الدول الإسلامية بالشرق والغرب بل وربما كانوا يأتون بنسبة المدينة الإسلامية لبني العباس ليتسنى لهم بعد التصريح بأنهم أخذوا ذلك عن اليونان والفرس لا عن القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم بل ووقع لبعض الكتاب الشاميين في رسالة له في انتشار الأديان التصريح بأن التمدن الإسلامي قام «عن» الشريعة ولم يقم «معها» وهي غلط فادح لصاحبه عن جهله بالسير والحديث...»^(١).

نخلص من ذلك أن التمدن المطلوب إنما جاء «مع» الشريعة التي وضعت أساسياته التي لا تتغير، مع مراعاتها لتبدل الزمان والمكان مما يدخل في باب «المعاملات» والسياسة الشرعية التي تسير على هدى الشريعة وما ثبته رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم ومن تبعه باحسان^(٢). كما يجب أن نشير إلى أن التمدن في الصدر الأول من الإسلام كان هو التمثيل الحقيقي للتعاليم فالماديات من زخرفة ومما لا حاجة له أبداً لم يظهر إلا في العهود اللاحقة مما كان سبباً في تدهور التمدن رغم أن ظاهرها المادي عظيم ولكن ليس هو المطلوب لذلك لم يدم.

(١) الكتاني، الشيخ عبدالحق، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، الجزء الأول، «الكتاب التراتيب» والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية، دار الكتاب العربي: بيروت ص ١٠.

(٢) انظر رسالتنا المسماة «التفسير الشرعي للتمدن» النشرة رقم ٦٢، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، فبراير ١٩٨٤.

رابعاً: وظائف المكان

فصل

النشطة والبناءات

عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهي موطن الاستقرار الذي باشر منه دعوته لنشر هذا الدين العظيم قام بتحديد الوظائف الأساسية للمكان الذي اختاره والتي لا يقوم الدين إلا بها وهي من التمدن الاسلامي والتي أطلق عليها المهتمون عدة تسميات مثل (عناصر المدينة العربية الاسلامية) و (التراث المعماري العربي الاسلامي) إلى غير ذلك من التسميات التي استقيت من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عند نزوله المدينة، وسنوردها تباعاً كما دلت عليها الروايات الصحيحة.

المسجد أول البناءات:

جاء في (الترتيب) باب البناء، فصل البناءات النبوية ما نصه: «بنى صلى الله عليه وسلم مسجد قباء أول ما ورد المدينة ووقف على أساسه، قال السهيلي في (الروض) ذكر ابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسس مسجد قباء كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر ثم أخذ الناس في البناء فقال هذا أول مسجد بني في الاسلام»^(١).

(١) الكتاني، الترتيب، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٧٦.

كما أسس صلى الله عليه وسلم «مسجد المدينة» عندما وفد على بني النجار:

(قال عليه السلام كما في الصحيح وغيره إلى بني النجار بعد أن أرسل إليهم وكان موضع المسجد لهم «ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادته حجارة وجعلوا الصخر وهم يرتجزون..») قال ابن اسحاق فعمل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين العمل وذكر ابن جماعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ببناء المسجد فبنى باللبن وجعلت عضادته بالحجارة وسواريه جذوع النخل وسعفه الجريد وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع وجعل الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن..»^(١).

وقد بناه صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات الأولى بالسميط وهو لبنة أمام لبنة والثانية بالضفرة وهي لبنة ونصف في عرض الحائط والثالثة بالأنثى والذكر وهي لبنتان تعرض عليهما لبنتان^(٢).

يستخلص من ذلك أن أول وظيفة أحيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المكان «وظيفة المسجد» الذي كان بمثابة مركزاً للصلاة والعبادة إضافة إلى كونه مركزاً سياسياً واجتماعياً وحضارياً وملتقى علمياً. هذه الوظائف التي كان يؤديها المسجد جعلت مكانته أكثر من كونه للعبادة لأن الأرض كلها قد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طهوراً ومسجداً كما جاء في الحديث.

ثانياً: المسكن:

ثم باشر رسول الله صلى الله عليه وسلم تحديد وظائف المدينة من

(١) المصدر السابق، ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٧.

الداخل فبنى مساكنه إلى جوار المسجد، قال في التراتيب: «ثم بنى صلى الله عليه وسلم مساكنه إلى جنب المسجد باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد وكان محيطها مبنيًا باللبن وقواطعها الداخلة من الجريد المكسو بالطين والمسوح الصوفية وجعل لها أبواب منافذ متقنة الهواء داعية إلى السهول في الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفر الزمن والسرعة إلى المقصد»^(١). وكان للأصول السكانية والقبلية شأن كبير في توزيع السكان في أحياء المدينة بحيث أن كل حي يقطنه أسرة أو قبيلة أو جماعات دينية كتابية ذمية كما هو معلوم.

ثالثًا: السوق:

كما حدد صلى الله عليه وسلم موضع السوق لعلمه أن الاستقرار لا يقوم إلا به فهو مصدر التكسب والتجارة والحرف. روى الطبراني من طريق الحسن بن علي بن الحسن ابن أبي الحسن أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

«إني نظرت موضعاً للسوق أفلا تنظرون إليه قال بلى فقام معه حتى جاء موضع السوق فلما رآه أعجبه وركض برجله وقال نعم سوقكم هذا فلا ينتقصن ولا يضربن عليكم خراج». ورواه ابن ماجه بلفظ:

(ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق النبيط فنظر إليه فقال: ليس هذا لكم بسوق... ثم رجع إلى هذا السوق فطاف فيه ثم قال هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج)^(٢).

كما أقر الاسلام الأسواق التي تباع الناس بها في الجاهلية فعن ابن عباس قال:

(١) نفس المصدر، ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٣.

كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الاسلام تأتموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم»^(١).

وفي حديث ابن الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم وبمجنة وبمعاظ وبمنازلهم بمنى يبلغ رسالة ربه الحديث أخرجه أحمد وغيره^(٢).

كما أشار القرآن إلى رحلة الشتاء والصيف التي كانت تمثل النشاط التجاري لقريش. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأسواق كانت مكاناً للحرف الصناعية أيضاً وتعرف الأسواق الحرفية التي تقام فيها الصناعات اليدوية الخفيفة والمتوسطة الحجم. وكان أصحاب الحرفة الواحدة يتجمعون في أقسام معينة من السوق، ولهذا فإن أحياء الأسواق أحياء للصناعة أيضاً مما أدى إلى تنشيط حركة السلع والأموال خاصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمل في تجارة زوجته الأولى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وكان يشجع الناس على العمل بالتجارة.

رابعاً: الزراعة:

لقد نزلت الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة تذكره بما أنعم الله به من اخراج الزرع والنباتات وقد جاءت الآيات في وصف الزرع والثمار كما في قوله تعالى:

«وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء».

(١) وفي قراءة منسوبة لابن عباس أضيفت بعد هذه الآية عبارة «في مواسم الحج» وهي مما تكلم فيه أئمة القراءة.

راجع القرطبي (١/٨٣، ٨٤) و (٢/٤١٣).

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٣، ص ١٦٤.

أي بالماء نبت كل شيء فأخرجنا به يعني الماء خضرا يعني أخضر تخرج به
حبا متراكبا البر والشعير والأرز والذرة وسائر الحبوب يركب بعضه على بعض
وقوله تعالى:

«وهو الذي أنشأ جنات معروشات» وهو ما انتشر كالعنب والقرع .
وقد ساق الكتاني طائفة من الأدلة على أهمية الزراعة حيث قال أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قال «يا معشر قريش انكم تحبون الماشية فأقلوا منها
فانكم بأقل الأرض مطرا واحترثوا فإن الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجاهم»
خرجه أبو داود والبيهقي^(١). وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه (وأن
اخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم) قال القسطلاني في الزراعة
والغراسة، وفيه عن ابن عمر أنه عليه السلام عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج
منها من زرع أو ثمر، وبوّب عليه البخاري باب المزارعة مع اليهود. وساق
قول الحبشي قوله أن العلماء قد اعتبروا الزراعات من فروض الكفاية في كثير
من المصنفات لأنه لا يقوم الدين والدنيا إلا بها كالنخل والعنب وغيرهما فإن
تركها كل الناس أثموا... الخ^(٢).

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم:
(دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال: لا يغرس مسلم غرسا
ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبع إلا كانت له
صدقة).

(١) البيهقي: السنن الكبرى (كتاب المزارعة: ما جاء في نصب الجاهم لأجل العين) ج ٦ ص
١٣٨. وعند ابن الأثير «الجاهم هي الخشبة التي تكون في رأسها سكة الحرث» والمقصود
«أكثرنا من استخدام المحراث».

(٢) الكتاني، الجزء الثاني، نفس المصدر، ص ٤٤، انظر مثلا الأحكام السلطانية، للهاوردي،
والفراء الحنبلي، وانظر كتب الخراج، مثلا (موسوعة الخراج): كتاب الخراج، للقاضي أبو
يوسف، كتاب الخراج للامام يحيى بن آدم القرشي، الاستخراج لأحكام الخراج، لابن رجب
الحنبلي، دار المعرفة: بيروت.

وعنه صلى الله عليه وسلم :

«إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة - فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» .

وتكلم العلماء فيما بعد عن سبل استغلال الأرض وفلاحتها وصنفوا الكتب والأبواب والفصول لذلك كما هو في كتب الأحكام السلطانية للماوردي والفراء الحنبلي وكتب الحسبة وشرح السنن وغيرها ما لا بد من الرجوع إليه^(١).

خامسا: اختيارات لبعض المؤشرات الحضرية في عهده صلى الله عليه وسلم :

والمتتبع للسيرة النبوية، والسنة المطهرة، يستطيع أن يجد فيها كثيرا من الأصول، التي تعتبر قواعد للتمدن الاسلامي، يمكن الأخذ بها، والتوسع فيها طبقا لقواعد الشرع المقررة، ونستطيع على سبيل المثال - لا الحصر - أن نذكر منها ما يأتي :

١- تعلم الكتابة :

فمن مقتضيات هذا الدين الذي رفع من شأن العلماء والعلم أن يتعلم المسلم الكتابة والقراءة حتى يحفظ علمه وينشر دينه. كان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يكتبان الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن غاب كتب إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأوصل الحافظ بن عساكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى خمسة وعشرين منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

(١) أضاف الكتاني في (تراثيه) ما يتعلق بضوابط الزراعة والتحذير من بعض مخاطرها فليراجع، انظر الجزء الثاني ص ٤٨ .

(٢) الكتاني، الجزء الأول، ص ٢٠٧ .

٢- تعلم لغات الأعاجم:

لما كان من مقتضيات التمدن الاسلامي أن ينشر دين الله تعالى إلى القاصي والداني والأحمر والأسود والعرب والعجم أذن صلى الله عليه وسلم بتعلم اللغات لكي يسهل نشر الدين ويسهل فهم رسل الملوك ومخاطبتهم. ساق الكتاني في كتاب اليهود قوله:

(في صحيح البخاري في شواهد التاريخ والنص له عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له «تعلم كتاب يهود، فإني ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته في نصف شهر حتى كتبت له إلى يهود، وأقرأ له إذا كتبوا إليه.» وجاء في «الاستيعاب» كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب السريانية فأمر زيد بن ثابت بتعلمها فتعلمها في بضعة عشر يوما).

وجاء في العمرة للتلمساني كما ذكر الكتاني، أن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري كان يكتب للملوك ويحيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن^(١).

ومن أغرب ما يتعين ذكره في هذا الباب ما جاء في موالى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وأنه كان له ١٠٠ غلام كل غلام يتكلم بلغة وكان ابن الزبير يكلم كل أحد بلغته.

٣- وضع التاريخ:

حكى الكتاني عن طائفة من الكتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة في شهر ربيع الأول أمر بالتاريخ. قال القلقشندي وعلى هذا يكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة. وساق الكتاني عددا من أقوال العلماء،

(١) الكتاني، الجزء الأول، ص ٢٠٢، وانظر أيضا: صحيح البخاري (كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام).

مثل قوله الحافظ السيوطي أنه رأى في أحد المصادر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أרך بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران وأمر عليا أن يكتب عنه أنه كتب لخمس من الهجرة قال فالمؤرخ لهذا إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر تبعه، وقال السخاوي فإن ثبت ذلك فيكون عمر رضي الله عنه متبعا لا مبتكرا^(١).

٤- الاحصاء السكاني:

جاء في صحيح البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اكتبوا لي من يلفظ بالاسلام من الناس فكتبت له ألفا وخمسمائة رجل». وقد ساق الكتاني هذا الحديث تحت باب كتاب الجيش واستشهد بأقوال العلماء في شرح هذا الحديث، كما ساق قول المقرئ في كتابه الديوان بأنها كانت تشمل كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتاب الانشاء والمكاتبات.

وقد استن الخلفاء الراشدون برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عندما اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان بعد أن كثر مال المسلمين وكذا فعل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما اتخذ ابن مسعود رضي الله عنه على بيت المال. وجاء أيضا أن معاوية رضي الله عنه، أنه جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصيح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: اهل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ويقال نزل بهم رجل من اهل كذا بعياله فيسميه فاذا فرغ من القبيلة أتى إلى الديوان ليثبت ذلك^(٢).

(١) الكتاني، الجزء الأول، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) الكتاني، الجزء الثاني، ص ٢٢٠-٢٢٩.

هـ- تحسين دور العبادة بما يساعد على العبادة (القنديل، المجرم، الكنس):
كما أعطى صلى الله عليه وسلم المفتاح لمن بعده للأخذ بالأساليب التي
تسهل على المسلمين حياتهم في العبادة والسكن على هدى من الشريعة مما لا
يتم التمدن الاسلامي إلا به. فقد جاءت الأحاديث أن سراج مولى تميم
الداري قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في خمسة غلمان لتميم وأنه أسرج
للنبي صلى الله عليه وسلم بقنديل الزيت وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا
في سعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرج مسجدا
فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه قال فتح قال النبي صلى الله عليه وسلم
بل اسمه سراج قال فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا. ولهذا
فإن أول من أسرج في المساجد تميم الداري كما جاء في السنن.

وانسحب ذلك على سرج المساكن فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان
صلى الله عليه وسلم لا يجلس في بيت مظلم إلا أسرج له فيه^(١).

وفي سنن أبي داود قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء
المساجد في الدور وأن تطيب وتنظف قال الكتاني، ثبت هذا أيضا في مسند
أحمد وابن ماجه وصحيح ابن خزيمة وغيرهم. وكان مولى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يجمر المسجد إذا قعد عمر على المنبر^(٢).

وخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم
المسجد ففقدوها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها فقالوا ماتت قال
أفلا كنتم آذنتموني قال فكأنهم صغروا أمرها فقال دلوني على قبرها فدلوه
فصلى عليها. ورواه ابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال أن امرأة كانت تلقط
الخرق والعيدان من المسجد^(٣).

(١) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٧.

هذه المختارات مما أذن به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي إلا
غيض من فيض وحي بالمسلم أن يطلع على مصنفات علماء الاسلام في
ذلك ومنها مثلاً «التراتب» ففيها جمع المصنف معظم ما قام به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التمدن كما وصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية
والعلمية في عهده وعهد خلفائه بما يعطي دفعة لنفوس المسلمين من المتأخرين
بأن هذا الدين جاء شاملاً فضلاً عن أنه قد سهل السبيل للأخذ بكل ما
يستجد مما لا يخالف الهدي القرآني والنبوي وهدى الخلفاء المهديين ولعمري
هو النموذج الذي يجب أن يتبع والمثل الذي يحتذى.

خامسا: ضوابط التمدن

إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدد وظائف المدينة من الداخل فإنه لم يترك الأمر دون وضع ضوابط للوظائف التي قامت في المدن فكان من شأن هذه الضوابط أن منعت الغلو في الاستخدام مما لا طائل منه كما أنها قد تفتحت الآفاق لمزيد من الانتفاع على هدى من الشريعة بما يتلاءم مع الزمان والمكان.

مختارات من ضوابط السوق:

لقد حُبب الإسلام التكسب والتجارة ولكنه في الوقت نفسه حذر المسلمين من العواقب الوخيمة إذا ما أخل بالضوابط التي وضعها الدين للأسواق ومنها:

أولا: أن الأسواق هي أبغض البقاع إلى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث جبير بن مطعم:

«إن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحب البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق». أخرجه أحمد والبخاري وصححه الحاكم وإسناده حسن وأخرجه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر. وذلك لما فيها من حلف كذب وغش وتبرج ونحوه.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

وهو من أفراد مسلم عن البخاري قاله الكتاني (١).

لكن هذا وجه تحذير من التهادي وإلا فقد أجاز الاسلام ذلك وحبب التكسب والتجارة، قال تعالى:

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق). الآية.

والفرق أنه على المسلم أن لا يلهيه البيع والتجارة عن ذكر الله، قال تعالى:

(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة). الآية.

قال الكتاني، ترجم البخاري أيضا باب التجارة في البر وغيره وساق قوله سبحانه:

«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» ثم قال قتادة: كان القوم يتبايعون ويتجرون لكنهم إذا ناهم حق من حقوق الله لم تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (٢).

ثانيا: ومن ضوابط السوق أن يتعلم المرء أحكام السوق أو على الأقل أحكام التجارة التي يتعامل بها حتى لا يأكل هو وأهله من الربا والحرام:

«كان عمر يضرب بالدرة من يقعد في السوق ولا يعرف الأحكام ويقول لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربى».

وكان عليا رضي الله عنه يقول الشيء نفسه «من اتجر بغير فقهه فقد ارتطح (ارتبك) في الربى».

ولقد نتج عن ذلك ظهور مهمة «المحتسب» الذي يراقب أعمال السوق كما سنبينه تباعا. وكان التجار آنذاك ربما اصطحبوا معهم فقيها ليرجعوا إليه في أحكام التجارة كما بين ذلك الكتاني في (تراتيبه) رحمه الله.

(١) الكتاني، التراتيب، ج ٢ ص ٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧.

قال الشاعر:

لا تجلسن في السوق حتى تعلمما ما حل من بيع وما قد حرما
ثالثا: ومن ضوابط السوق أن يتولى أعماله سادة الناس وأشرافهم وأصحاب
الأدب والخلق والهمم العالية الصادقون حتى لا يتلف السوق، مر عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بالسوق فرأى عامة القائمين عليه من الموالي والنبط
فقال قوله المشهورة:

«لا تفتنكم هذه الحمراء على دنياكم».

وكان قد قال ذلك لما رأى اعراض الصحابة رضوان الله عليهم والعرب عن
السوق فدعاهم للعودة إليه لما توافر فيهم من الصفات المطلوبة للعمل بالتجارة
فقال:

«والله لئن فعلتم (أي تركتم غيركم في السوق) لاحتاج رجالكم إلى
رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم»^(١).

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم قد ترك العمل بالسوق لما فتح
الله عليهم الأرض فضلا عن أن بعض العرب ييغض العمل بالتجارة، ومع
هذا يجب أن لا ننسى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عمل بالتجارة
وكذا الصحابة مثل عثمان وأبو بكر وعلي وعمر رضي الله عنهم والصحابييات
رضوان الله عليهن كخديجة رضي الله عنها.

رابعا: هذه الضوابط يضاف إليها تحريم (الغش) و (الاحتكار) و (الكذب)
و (الربا) وغيرها من أعمال السوق المحرمة وفي البيوع وأبوابه ما يغني
فلتراجع.

(١) الكتاني، التراتيب، ص ٢٠ وما قبلها. ج ٢، قلت: في قوله عمر رضي الله عنه عن مخاطر
تسليم السوق إلى هؤلاء الأعاجم متواجدة في زماننا هذا في كثير من أسواق العرب وكان
أثرها ان احتاج الناس إليهم فضلا عن أن الأسواق قد دخلها أعمال الغش والجهل والغرر
والله المستعان.

ولما فتح الله على الاسلام الأرض مشارقها ومغاربها وكثر التعامل ودخلت الناس في الاسلام جاءت الحاجة لعمل (المحتسب) الذي كان وظيفته ضبط أعمال السوق وأحكامه وذلك بعد أن كان الخلفاء يقولون ذلك بأنفسهم . وقد صنف العلماء كتباً عظيمة في الحسبة وضبط أعمال الأسواق مثل الشيزري في (نهاية الرتبة) وابن الأخوة في (معالم القربة)^(١).

وقد اتسعت أعمال الحسبة على الأسواق لتتولى البناءات والخطط وتحديد مواقع التجارات والصنائع ، فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهدم كير الحداد لما رأى أنه يؤذي الناس والسوق.

بل وتعدى ذلك كما جاء في نهاية الرتبة للشيزري أن جعل لكل صنعة من يشرف عليها ، قال رحمه الله :

(ولما لم تدخل الاحاطة بأفعال السوق تحت وسع المحتسب جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفاً من صالح أهلها خبيراً ببضاعتهم بصيراً بغشوشهم وتدليساتهم مشهوراً بالثقة والأمانة يكون مشرف على أموالهم ويطالبه باختيارهم وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع . . . فق روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها . . .))^(٢).

كما جاء في كتب الحسبة أيضاً اشارات إلى خطط الأسواق وممراتها بالصورة المطلوبة التي تيسر على العباد أعمال السوق جاء ذلك في صدر كتاب

(١) الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق د. السيد الباز العريني ، وابن الأخوة في معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق د. محمد شعبان وصديق عيسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) الشيزري ، (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) ، تحقيق د. الباز العريني ، ص ١٢ ومن كتب الحسبة المشهورة أيضاً كتاب الأحكام السلطانية للماوردي والأحكام السلطانية للفراء الحنبلي ، وكتاب (الحسبة في الاسلام) لابن تيمية ، (تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام) لابن جماعة ، السقطي في (آداب الحسبة) وغيرهم وقد جمع الدكتور نقولا زيادة مختارات من هذه الكتب في كتابه (الحسبة والمحتسب في الاسلام) طبع الكاثوليكية بيروت ، ١٩٦٢ فليرجع إليها .

(نهاية الرتبة) سابق الذكر عند حديثه عن سعة الأسواق وتسقيفها وممراتها وتوزيع أعمال السوق.

ضوابط البناءات:

كما لم يترك هذا الدين الشامل ضوابط البناءات ومعها المساكن لما فيها من اتصال مباشر لحياة الناس بل وبدونها لا يتم الاستقرار. ولكن في الوقت نفسه قد حذر الاسلام من التطاول في البناء والانغماس في الزخارف والركون إلى الأرض لأن ذلك ايزان بزوال المدينة، قال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا...).

لهذا فقد كانت المساكن في صدر الاسلام تفي بالضرورات ولا تمتد إلى الكمالات مما لا حاجة له، أخرج البخاري في صحيحه، أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال:

(لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بنيت بيتا بيدي يكنني من المطر ويظلني من الشمس وما أعاني عليه أحد من خلق الله)^(١) أخرجه البخاري.

لهذا فقد كان المسكن يقي من الحر والمطر ويحفظ الناس من الأعداء والهوام وهي ضرورات لا بد منها، أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال:

«ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما ونحن معه فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه، قال أصحابه: هذه لفلان - رجل من الأنصار فسكت وحملها في نفسه، حتى لما جاء حاملها سلم عليه في الناس فأعرض عنه - صنع

(١) البخاري في الاستئذان باب ما جاء في البناء، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤١٦٢) في الزهد باب في البناء والخراب، انظر الحديث وتخرجه في ابن الأثير الجزري جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ١ ص ٦١٣.

ذلك مرارا - حتى عرف الرجل الغضب فيه والاعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه فقال والله، اني لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: خرج، فرأى قبتك، فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فلم يرها قال (ما فعلت القبة قالوا شكا الينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال: أما أن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا إلا مالا» أخرجه أبو داود^(١).

وهذا الحديث يبين أن المسكن يقدم خدمات ضرورية للانسان وأنه إذا تعدى الضرورات فهو وبال على صاحبه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن لا يمنع ذلك من أنه صلى الله عليه وسلم قد وضع ضوابط يستفاد منها لفهم التمدن وخطّة المدينة والعمارة الاسلامية وهي في الحقيقة مستقاة من الأحاديث السابقة وغيرها مما لم يتسع له المقام في هذه الرسالة. ولقد استفاد منها العلماء في أبواب الحسبة على المساكن والبناءات.

ومن الضوابط التي يمكن على ضوءها تصور التمدن والبناءات وخطّة المدينة الاسلامية، ان الاسلام دين يدعو إلى الاستقرار والتمدن أي سكنى المدن أو انشائها لأنها النوى التي يكون فيها الاسلام مطبقا بصورة شاملة يبدو هذا جليا لو قارنا بين التكاليف الشرعية في السفر والحضر مثلا. وفي المقابل فإن الدين لا يشجع البداوة والعزلة إلا مع اشتداد الفتن ومع هذا فالذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما أن الانسان لا يمكن أن يفي بحاجاته بنفسه عندما يستقر وهذا يقتضي التعاون مع الناس ليكفي كل حاجة الآخر لهذا يقال أن الانسان مدني بطبعه.

(١) انظر ابن الأثير جامع الأصول في أحاديث الرسول، الجزء الأول، ص ٦١٠، قال المحقق اسناده حسن وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ويدعو هذا الدين إلى إنشاء الفرد الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح الذي سيشغل المكان الذي اختير ليكون موطننا للاستقرار. ويحرص أيضا على الجماعة والوحدة لقوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» وقوله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد... الحديث» ونبذ الفرقة والتحزب لقوله تعالى «فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون» وقوله تعالى «أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض»^(٢) ويحرص هذا الدين على منع ضر الآخرين لقوله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» وقوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ويدعو هذا الدين إلى التوسط في الحياة ويحذر من الاسراف في الأموال والأرض والموارد وغيرها كما يحذر من الانغماس في التمدن وفي مباحاته وشبهاته وزخارفه ذلك أنه سيؤدي إلى انهيار المدينة وزوالها بالمعاصي والذنوب. قال تعالى: «وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد».

كما يدعو هذا الدين إلى الاهتمام والاحسان إلى الجار والعناية به، لقوله صلى الله عليه وسلم:

«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». متفق عليه.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) بعض التصورات مستقاة من المحاضرة القيمة التي ألقاها الدكتور أحمد فريد مصطفى (العميد السابق لكلية العمارة والتخطيط في جامعة الملك فيصل، والمستشار الحالي لاعادة تخطيط المدينة المنورة) وهي بعنوان (الأحياء السكنية الجديدة على ضوء العمران الاسلامي) في كلية الهندسة جامعة الكويت بتاريخ ١٨/١٢/١٩٨٤.

(٢) متفق عليه، عن جبرير، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع... وذكر.

«والله لا يؤمن - ثلاثا - قالوا من يا رسول الله، قال الذي لا يأمن جاره بوائقه». متفق عليه.

هذا عدا عن الأحاديث الكثيرة عن الاحسان إلى الجار والصبر على أذاه وليس هناك مثل أعظم من احسان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاره اليهودي الذي كان يؤذيه كما جاء في السيرة.

ويدعو هذا الدين إلى اعطاء الطريق حقها عن طريق اماطة الأذى وغض البصر ورد السلام كما جاء في الحديث عندما منعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجلوس بالطرقات وقوله: «إياكم والجلوس بالطرقات، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

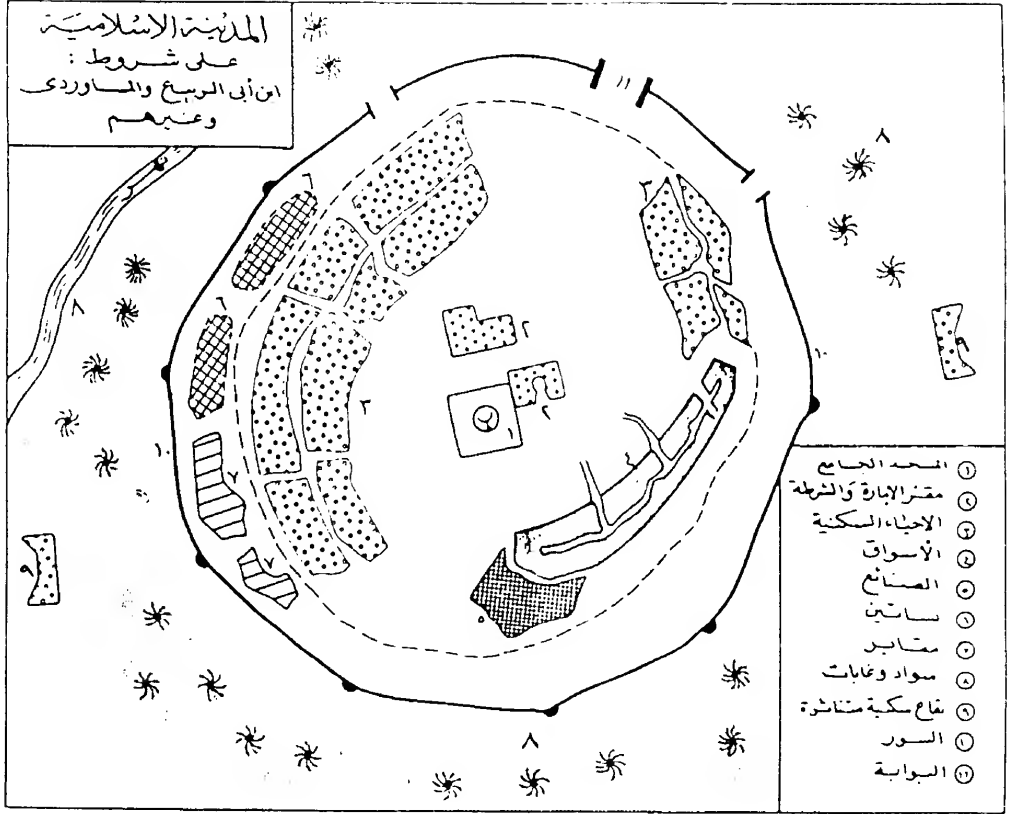
«الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق...»^(١).

كما دعا هذا الدين إلى القوة والاعداد لها بما يكفي لحماية المجتمع المستقر ولارهاب العدو ومنعه من أن يجعل الموقع مكانا للهجوم لقوله صلى الله عليه وسلم «ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا».

كل ذلك محاط بشريعة تمنع الظلم وتعاقب المسيء والمعتدي من التهادي وتضرب على يد كل من تسول له نفسه الاعتداء على الآخرين.

من خلال ذلك يمكن تصور المدينة الاسلامية على أنها وسط عمراني

(١) انظر «مشكاة المصابيح»، للخطيب التبريزي ج ١، ص ١٠، حديث رقم ٥، طبعة المكتب الاسلامي.



(شكل ٣)

المدينة الإسلامية على شروط
ابن أبي الربيع والماوردي وغيرهم

من إعداد الباحث

يضمن الاستقرار ويسهل الحياة على كافة المستويات. ولقد استخلص العلماء فيما بعد تصوراتهم للبناءات والمساكن ومواقعها كما حددوا أيضا أشكال البناء على ضوء الضوابط وخطة المدينة الإسلامية على ضوء هذه الضوابط. لكن يجب أن نشير هنا إلى أن المدينة الإسلامية انعكاس صادق لتعاليم الشريعة فكلما كانت هذه التعاليم مأخوذة في الحسبان ومدروسة كلما عكست صورة حقيقية مكانية. ولقد حاول الماوردي وابن أبي الربيع تصور المدينة الإسلامية على ضوء معطيات مأخوذة من الضوابط الشرعية كما بينها الشكل رقم (٣) أما شروطها عند انشاء أي مدينة مراعاة ثمانية ضوابط:

أحدها أن يسوق إليها الماء العذب حتى يسهل تناوله من غير عسف.

الثاني أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

الثالث أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.

الرابع أن يقدر أسواقها بكفائتها لينال سكنها حوائجهم من قرب.

الخامس أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أصداد مختلفة متباينة.

السادس أن أراد سكنها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفا

له من سائر جهاته.

السابع أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة.

الثامن أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها^(١).

ويجب أن يعرف المتتبع لبناءات المدينة الإسلامية وخطتها أنه ليس من

الضروري أن تكون هذه الشروط الثمانية لمدن هذا الزمان الذي تغيرت فيه

وسائل النقل وزادت فيه الأنفس وتقاربت الأماكن والزمان كما هو معلوم لهذا

فإن هذه الشروط خاضعة لتغير الزمان والمكان مع بقاء الأسس المتعارف عليها

(١) ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، بتحقيق د. ناجي التكريتي، ص ١٩٢، وانظر الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر بأخلاق الملك وسياسة الملك، بتحقيق محي هلال السرحان، مراجعة د. حسن الساعات، ص ١٦٢-١٦٤.

والتي لا يقوم التمدن الاسلامي إلى بها كما بينا آنفا مع ما يحيط بها من ضوابط شرعية .

كما انعكست ضوابط هذا الدين على شكل الوحدات والأحياء السكنية فعلى سبيل المثال يظهر المسكن عنصر الخصوصية Privacy الذي يراعي حرمة العامة ومكانتها في المجتمع المسلم فانعكس هذا على شكل المسكن من حيث انفتاحه على الداخل Introvert وانغلاقه على الخارج Extrovert (١) .

كما انعكس ذلك على الحي السكني الذي يبرز الترابط الأسري والتلاحم الاجتماعي فيظهر الأحياء ضيقة غير مستقيمة من التقارب بتوفير ظل ظليل يخفف من حر القيظ ووهج الشمس ويساعد على حركة الهواء وتوليد التيارات موفرة الأمن والأمان للسكان كبارا وصغارا متلافية النظام الشبكي أو الشطرنجي للأحياء الذي يبعث الملل والبعد الأسري خاصة بعد دخول السيارات .

وقد روى البيهقي في (شعب الايمان) في حق الجار عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله ما حق جاري علي (وذكر من الحقوق) . . . «ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح» (٢) .

وحكى الماوردي في (الأحكام السلطانية) عن ضوابط البناءات في الأحياء السكنية وعمل المحتسب في ذلك، قال رحمه الله :
«وأما ما ينكر من حقوق الأدميين المحضة فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره أو من حريم لداره أو من وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب

(١) من محاضرة الدكتور أحمد فريد مصطفى، سبق الإشارة إليها .

(٢) الكتاني، بين القوسين من اضافة كاتب هذه الرسالة، يرجى مراجعة الحديث بكامله ص ٨٠ باب (أمره عليه السلام في البناءات أن تكون على مقتضى القواعد الصحيحة)، الجزء الثاني من الترتيب .

فيه ما لم يستعده الجار لأنه حق يخصه فيصح منه العفو عنه والمطالبة به . .
الخ»^(١).

وحكى ابن القيم في (الطرق الحكيمة) ما نصه :
«وعليه (ولي الأمر) أن يمنع اللاعبين بالحمام على رؤوس الناس فإنهم
يتوسلون بذلك الاشراف عليهم والتطلع على عوراتهم . .»^(٢).
ونقل عن الجرسيفي في آداب الحسبة والمحتسب قوله :
«ويمنع أهل الذمة من الاشراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف
عليهم . .»^(٣).

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٥٥، طبعة دار الكتب العلمية.
(٢) ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ص ٢٨٢، طبعة دار الكتب العلمية.
(٣) انظر د. نقولا زيادة في الحسبة والمحتسب في الاسلام، ص ١٥١، مختارات من رسائل
الجرسيفي الأندلسية، في الحسبة الخ . .

الخاتمة

ختاماً يمكن عرض خلاصة هذه الرسالة على النحو التالي :
أولاً : أن (إحياء) التمدن الاسلامي بإحياء تعاليم الدين أقوى وأشمل من مجرد (الحفاظ) على العمارة أو التراث البنائي المتبقي من الحضارة الاسلامية .

ثانياً : أن إحياء التمدن لا يتم إلا بالعودة إلى النموذج المدني الصحيح الذي أحياه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأثير تعاليم الدين مع العمل على تتبع سبل تطويره على هدى من سنة المؤسس الأول للتمدن الاسلامي عليه الصلاة والسلام .

ثالثاً : أن أساسيات العمارة والمدينة الاسلامية متفق عليها كالمسجد والمسكن والسوق والنشاط التجاري والزراعي ونحوه وهي باقية ولا تتغير مع الزمان والمكان وأن التغير إنما يحدث في الأساليب التي تسهل حياة الناس فيما يتعلق بالانتفاع من الموارد المتاحة وهو أمر مباح بل ومأمور به كما مر بنا في أسراج المساجد وتخطيط الأسواق الخ . .

رابعاً : لا يمتنعنا ديننا من الانتفاع بصنائع ومنتجات الأمم التي تزيدنا قوة ومنعة وتيسر سبل حياتنا كما لا يمتنعنا أيضاً من احداث ما يسهل حياتنا ما لم يضر لقوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) وبالتالي فالتمدن عندنا ليس عزلة عن الحضارات بل استفادة محكومة بضوابط الشريعة .

خامسا: وأخيرا، تأمل معي التطور المدني الذي صاحب هذا الدين منذ أيام المدينة المنورة ومرورا بعهد الخلافة الراشدة ومن تبعها بإحسان حيث كثر المسلمون وأبدعوا وأحسنوا ولم يؤثر ذلك على عقيدتهم وتقدمهم وأصبحت مدنهم وحاضراتهم أمثلة يحتذى بها ولم يمنعهم ذلك من أن يكونوا كسابا في النهار وعبادا في الليل وفرسانا إذا ما نادى المنادي . . .

المراجع العربية:

- (١) ابن أبي الربيع (سلوك المالك في تدبير الممالك) تحقيق الدكتور ناجي التكريتي، ١٩٨١، دار الأندلس، بيروت.
- (٢) ابن القيم، (الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية: بيروت.
- (٣) ابن منظور، (لسان العرب المحيط)، طبعة دار لسان العرب: بيروت.
- (٤) الماوردي، (تسهيل النظر وتعجيل الظفر بأخلاق الملك وسياسة الملك)، تحقيق محيي هلال سرحان، مراجعة وتقديم حسن الساعاتي، ١٩٨١، دار الكتب العلمية: بيروت. أحمد اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، سعيد رأفت: القاهرة. العوايشة، أحمد، (موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ) ١٩٨٢ عمان.
- (٥) الشيزري، (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) بتحقيق الباز العريني، دار الثقافة: بيروت.
- (٦) التبريزي، (مشكاة المصابيح)، بتحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي.
- (٧) الكتاني، (التراتب الادارية)، دار الكتاب العربي: بيروت، ج١-٢.
- (٨) نقولا زيادة، (الحسبة والمحتسب)، ١٩٦٢، المطبعة الكاثوليكية: بيروت.
- (٩) مجلد ندوة المدينة العربية (٢٤-٢٩ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ) (٢٨ فبراير - ٥ مارس ١٩٨١م) بحوث الدكتور حسن الششتاوي (المدينة العربية بين الدعوات الثلاث: السلفية، المعاصرة، المتحفظة)، وبحث الدكتور سراج الدين اسماعيل (المدينة وتراثها الحضاري الاسلامي بين المكونات المادية والمقومات المعنوية).

- (١٠) سابق، السيد، (فقه السنة)، ١٩٧٣، ٣ أجزاء.
- (١١) المنيس، وليد عبدالله، (التفسير الشرعي للتمدن) النشرة رقم ٦٢،
قسم الجغرافيا - جامعة الكويت (فبراير ١٩٨٤).

المراجع الأجنبية:

- (1) Black, G. & Lawless, R. (eds.), 1980 "The Changing Middle Eastern City", Croom Helm: London.
- (2) McConnells, S. 1981; Theories For Planning".
Heinemann: London.
- (3) Dear, M. & Scott, A. (eds.) 1981, "Urbanization and Urban Planning in Capitalist society", Methen: N.Y.

Urbanism. It shall also be understood that the ways and means to achieve revival of Islamic urbanism are varying reflecting the diverse perspectives of contemporary students. There are those who, for example, call for the revival of form and others who call for the revival of form and some of the functions. A third group expound the comprehensive revival of the Islamic faith in regard to all facets of life, this later approach will lead to formulating the desirable model of urbanism, which in its material and physical aspects will conform to the teachings of Islam.

In summary, we will have to understand that Islamic faith does not place value on the shape of streets, decorations, minerals, proper. But Islam, being a total way of life, aims to improve man's life on earth. And when decorations become excessive and buildings are towering, there can be doubt that urbanism is based on the righteous approach.

Secondly, Islam does not encourage nomadism or seclusion. Rather it exalts settlement, collectivity and urbanism. At the same time, Islam warns against indulgence in the sinful life and hedonism catered by urbanism.

That has been the sign of doom and destruction of urbanism. Allah says in the Koran How many populations have we destroyed, which were given to wrongdoing? They tumbled down on their roofs, and how many wells are lying idle and neglected and castles lofty and well-built?.

Thirdly, the basic features of Islamic urbanism and architecture, namely the mosque, residence, the market place, continue to exist transcending time and place. The changes that had affected them involved only the introduction of modern styles, which Allah has permitted so that mankind can benefit from the resources which He endows in our earth.

Fourth, care should be exercised in respect to the hypothesis, that Islamic urbanism evolved out of interactions with the Roman, Persian and other cultures and civilizations. He who ascribes to this hypothesis insists that Islamic urbanism was not the product of Sharia, but emerged despite of it.

Islamic City between Preservation and Revival

BY DR. WALID ABDULLAH AL-MUNEEES

Contemporary scholars of Islamic Urbanization admit that it passes through a crisis with its ramifications are reflected in the present plan and general form of the city. But the scholars disagree on the best approach that should be adopted to override of the crisis. There have been recommended various approaches and methods. On one hand, there are proponents of revival of the totality of Islamic architecture. On the other had, there are the proponents of preserving whatever is being left of the Islamic architecture so as to be utilized as a heritage that may be emulated in the shaping of new architecture or renewal of the old one.

Between the polarities of revival and preservation, there are other calls, one of which expounds the integration of the Islamic architecture with modern architecture in such a way to produce a new synthesized architecture, which would benefit from both civilizations.

But before embarking on preserving the Islamic architecture or reviving the Islamic urbanism, there is a basic requisite to gain the correct understanding of the Islamic faith position with regard to settlement.

Such understanding can only be realised by tracing and comprehending the life of the founder of the Islamic urbanism, the Prophet Muhammad (Peace be upon him). This correct understanding of Islam will broaden the concept of Islamic urbanism for beyond the narrow reference to decorations, arches, minarets etc. Thus, the revival of Islamic urbanism can not be achieved without the revival of the Islamic teachings, which will shape the form of the Islamic urbanism to conform to the prescriptions of the Kuran and the Sunna (traditions). It is imperative, therefore, to study and contemplate the life and teachings of the Prophet at the time he laid the foundation for Islamic